

# الاختراق الإيراني وبواباته



د. محمد بن موسى الغامري\*

الحركات الإيرانية العابرة للحدود لتوظيفها في دوامة من العنف والمضاد الذي يستنزف الموارد البشرية والاقتصادية، لكون هذا الاختراق ليس مجرد تبشير ديني أو مذهبي بل هو استعمار حديث بأليات مذهبية.

## 4 - الاختراق الإيراني الشيعي في اليمن:

يعد اليمن في الاستراتيجية الإيرانية نموذجاً صارخاً للنفوذ والتوسع الإيراني، حيث انتقل الاختراق فيه من مجرد النفوذ السياسي إلى صياغة الدولة والمجتمع وفق مشروع ولاية الفقيه، وقد تجاوز هذا الاختراق البعد المذهبي التقليدي في اليمن بشقيه - الشافعي والزيدية - لإيجاد أرق جديد لنشر العقيدة الجعفرية الاثني عشرية.

ومن الناحية السياسية، يمثل هذا الاختراق في اليمن قاعدة انطلاق تتمثل في السيطرة على مناطق واسعة من شمال اليمن وغير بما في ذلك العاصمة صنعاء ومساتح من الساحل المطل على البحر الأحمر، لإحداث تحولات جديدة وخطيرة في موازين القوة وخنق المرات وتهديد الملاحاة الدولية عبر بلصها الحوثة الأرهابية لصالح نظام طهران بمسحها القدرة على تهديد مضيق باب المندب، وهو ما يعني امتلاك أداة ضغط عالمية للتحكم في ممرات التجارة والطاقة الدولية.

ولتطبيق الجزيرة العربية، يمثل اليمن الضلع الجنوبي في خطة التطويق التي تهدف لاستنزاف القوى الإقليمية، مما يجعل الأمن الإقليمي العربي في حالة انكشاف دائم أمام التهديدات الصراخية والطائرات المسيرة التابعة لإيران وأدفعها.

ومن الناحية الدينية العقيدية، يمثل الاختراق الإيراني حالة من العبث بالهوية الإسلامية واليمينية، ومنذ تمر المييشيا الحوثة التابعة لإيران وهي تسعى جاهدة لتفخيخ منمنهج من خلال قطاع التعليم لتطويق المناهج الدراسية وتضمينها مفاهيم طائفية حادثة على المجتمع اليمني تهدف إلى زراعة جيل بدين بالولاء للمرشد الإيراني والقائد الحوثة، وتستخدم الأنشطة في المراكز الصيفية للتجنيد والتحفيد العقائدي المعاكس للأطفال، في مقابل التصديق على المراكز العسكرية ودور العلم وتحفيظ القرآن وتحجيم رسالة المسجد التوعوية، مما يخلق قبيلة موقوتة تهدد النسيج الاجتماعي اليمني لعقود قادمة.

وعلى ذات المسار يتم اختراق وتفكيك الزيدية التقليدية، لجعلها عقدياً أكثر طرفاً من نزعتها الجارودية وتحويلها إلى نسخة من التشيع الجعفري الاثني عشري المرتبط بإيران.

وفي الجانب القبلي، يعمل الاختراق الإيراني على التغيير الديموغرافي والاجتمعي وإحلال الأعداء والشيعية، وتهميش المكونات المشايخ والرموز القبلية التي ترفض الانصياح، والتماهي مع المشروع الحوثراني عبر التهجير والنزوح القسري ومصادرة الممتلكات الخاصة ومنحها لعناص موالية لهم.

كما يجري محاولة فصل اليمن عن محيطه العربي التاريخي والجغرافي وربطه بمركزية القرار في طهران.

وبالمحصلة، فإن الاختراق الإيراني في اليمن ليس عابر سبيل، بل هو محاولة استيطان عقائدي وسياسي وعسكري يهدف إلى جعل اليمن منصة للصراعات والأذى. والخطر الأكبر يكمن في صناعة وعي مشوه يرى في الانتكز لليمن والعروبة شأناً ثانوياً أمام الولاء للمشروع الإيراني العابر للحدود.

وغني عن البيان أن مواجهة هذا الاختراق - محلياً - لا تكون إلا بتقوية الدولة الشرعية عبر مؤسساتها الوطنية وترسيخ مقومات العدالة والتنمية لسد الثغرات التي ينفذ منها الاختراق الإيراني وقد بات ملحا على المستوى الإقليمي إيجاد مشروع عربي وإسلامي سني جامع يقوم على التكامل الرسمي والشعبي بين دول المنطقة - وبخاصة المتضرر من التمدد الإيراني - دون ذوبان للخصوصيات لمواجهة الاختراقات الإيرانية إضافة إلى إيجاد مشاريع فاعلة لتحسين الهوية الإسلامية السنية عبر مؤسسات ثقافية وفكرية تتسم بالوسطية والاعتدال.

وبالرغم من نجاح هذا الاختراق لسنوات طويلة، إلا أنه واجه تراجعاً كبيراً في الآونة الأخيرة، ولأسباب بعد انكشاف خلالاته في حصار غزة وظهور جرائمه وكوارثه في سوريا واليمن والعراق ولبنان، ومؤخراً عدوانه - غير المبرر - على المملكة العربية السعودية وبقية دول الخليج والأردن، رغم حرصها على تجنب الانخراط في الصراع الدائر بين إيران واليهود وحلفائهم، وقد بدأ غالبية السنة يدركون أن الاختراقات الإيرانية ليس إلا أدوات براغماتية للتوسع الإقليمي وتصدير الثورة الخمينية، مما أدى إلى تصاعد الاتهامات لطهران بالمناجزة بالشعارات لتنفيذ أحداث تستهدف تغيير الهوية الإسلامية السنية والعربية في دول المنطقة.

«وكذلك فصل الأليات وِلْتَسْتَيْبِ سَبِيلِ الْمُحْرَبِينَ»  
\* رئيس اتحاد الرشاد اليمني

## رابعاً: بوابة التشيع السياسي

المقصود بالتشيع السياسي منظومة الولاء العام للنظام الإيراني وتبني خطابه السياسي والترويج لذلك، دون الالتزام بمرجعية النظام الإيراني المذهبية والعقدية بحيث يتسع مفهومه، ليشمل أطرافاً من غير الشيعية الجعفرية الإمامية. وقد نجحت إيران في اختراق جماعات ورموز ثقافية وسياسية وإعلامية ومؤسسات سنية وتنظيمات متعددة عبر قواسم المصالح وتناعم التصورات حول الأوبياء والأعداء فتحول التشيع السياسي إلى بديل - تكتيكي - عن التشيع المذهبي، وغاياته جعل العقل السني متفاعلاً مع الرؤية الإيرانية للعالم كعقارات الأعداء للولاء وللقيادة الثورية والإيمان بنموذج الدولة الدينية الإيرانية. وفوق جسر التشيع السياسي عبرت المفاهيم الثورية الإيرانية لتستقر في أدبيات بعض التوجهات الإسلامية السنية مما أوجد تماهيها فكرياً لجعل الفوارق المذهبية تذوب أمام وحدة الأهداف السياسية. وقد ساعد في هذا المسار - تغلغل التشيع السياسي - في لحظات الحروب مع إسرائيل والمقاومة الفلسطينية، وتم كسر الحاجز النفسي المنصل بالتشيع المذهبي، وهو من الجانب الإيراني مقبول مرحلياً لأنه يدفع ببعض المكونات السنية إلى مربع الإعجاب بالنموذج الإيراني ويقدمه الثقة بمرجعاتهم السياسية والدينية التقليدية. وفي ضوء ذلك تمت صناعة الطابور الخامس لإيجاد منصات إضافية تدين إيران بالولاء السياسي.

## خامساً: بوابة الثقافة والإعلام

توسعت إيران في استخدام أدوات الاختراق لتشمل مجالات عدة من بينها الجانب الثقافي وتقديم المنح الدراسية والخدمات الاجتماعية للحرثيين من الأوساط السنية عبر مؤسسات عدة، مثل (مؤسسة الخميني للإغاثة)، كما تم استقطاب البعثات الطلابية ومن بينها آلاف الطلاب اليمنيين في - قم - لإيجاد مجاميع ذات ولاءات فكرية لإيران تعمل على نشر التشيع بشقيه - المذهبي والسياسي - في بلدانها.

وفي السياق الثقافي عملت إيران في بعض المجتمعات السنية الفقيرة أو المهمشة على جعل القضية الفلسطينية سناراً لأنشطتها الدعوية والثقافية، وإقامة الندوات والمؤتمرات التي تجمع علماء من السنة والشيعية تحت عناوين نصرمة القدس وفلسطين، وتأسست مؤسسات وجمعيات إغائية تحت شعارات نصرمة فلسطين والتي كانت أحياناً مدخلاً لنشر الأفكار والمنهج السياسي الإيراني.

وسخرت إيران عشرات المنابر ووسائل إعلام إيرانية تابعة لها وأذرعها وقوات متعددة كقناة العالم والميادين والمنار - وبرس تي في - لترويج إيران المقاومة، مقابل تخوين عموم حكام العرب والمسلمين. وقد نجحت المكتة الاعلامية الإيرانية في تثبيت ثنائية محور المقاومة مقابل محور التطبيع، وهذا الخطاب التعويبي أوجد صدى في بعض الأوساط الإسلامية التي تم تصوير إيران فيها كدولة فاعلة تتحدى القوى العظمى مقابل دول عربية توصف بالضعف أو التواطؤ على هذا الاختراق الناعم الإعلامي والثقافي.

## ختاماً:

لقد كان لسياسة الاختراق الشيعي الإيراني مخاطر عديدة يصعب الوقوف على حصرها، ولعل من أبرزها:

### 1 - المخاطر السياسية:

أ- لأن هذا النوع من الاختراق يستهدف الوعي وقد لا يتحقق بالضرورة تشيع الناس مذنبياً بقدر ما يهدف لتسييس الولاء، بحيث يرى المواطن العربي في النموذج الإيراني منقذاً أو بديلاً عن الأنظمة المحلية، مما يؤدي لتآكل شرعية الدولة الوطنية من الداخل لصالح الولاء الطائفي لإيران التي لا تقدم دعماً للدول والشعوب وإنما تدعم طوائف ومليشيات، ليشأ من ذلك توليد دول داخل الدول - كنموذج حزب الله في لبنان، والحشد في العراق والحوثيين في اليمن - وهذا بدوره يؤدي إلى شلل القرار السني، لتصبح الدولة رهينة لأجندة إقليمية لا تخدم المصالح الوطنية العليا.

### ب- استنزاف العمق العربي الأستراتيجي:

يهدف الاختراق والتغلغل الإيراني إلى عزل الدول العربية - وبخاصة المحورية - عبر تطويقها بأقواس نفوذ وتحويل المشرق العربي واليمن إلى مناطق سيطرة إيرانية، يفقد النظام الإقليمي العربي توازنه ويجعل الأمن القومي العربي مكتشوقاً لكي تصبح إيران هي اللاعب الذي يحدد قواعد الاشتباك في المنطقة.

### 2 - المخاطر الاجتماعية:

لتصبح الأقليات الشيعية مشحونة ومقاتلة ومتوتبة لإحداث شروخ مجتمعية سنية - شيعية يصعب للمتها، مما يؤدي إلى حروب داخلية كما في بعض المناطق كسوريا والعراق واليمن، ويلاحظ محاولات تغيير (ديموغرافي) منمنهج عبر السطو على الممتلكات العامة والخاصة والتهجير والنزوح مما يغير هوية المدن التاريخية ويخلق واقعا جغرافياً جديداً يصعب معالجته في المستقبل.

### 3 - المخاطر الأمنية:

بخلق ارتدادات مقابلة وصناعة التطرف والإرهاب، لأن كل تمدد مشروع - ولاية الفقيه المتطرف يخلق بالضرورة رد فعل متطرف في المقابل الآخر، ومن البيئات التي تهيم عليها القوى الإيرانية تولدت تيارات متطرفة واستغللتها إيران ووظفتها لتصفية الوجود السني كتنظيم داعش والقاعدة، والاختراق الإيراني يغذي هذه

النفوذ الإيراني بواسطة التشيع الثقافي في كثير من الأوساط السنية.

وفي الوقت الذي يصعب فيه اختراق البناء العقدي السني المنتمسك بالنصوص والآثار الصحيحة، وجدت إيران في بوابة أهل البيت ثغرة عاطفية وتاريخية ووجدانية، وتسلسل المشروع الشيعي الصوفي لتحويل هذه العاطفة إلى منظومة حركية ولائية لخدمة الأهداف الاستراتيجية الإيرانية.

وقصارى القول، فإن نجاح المشروع الإيراني في اختراق المجتمعات السنية عبر بوابة أهل البيت كان استثنائياً خطيراً في إدارة هذه الرمزية لتحويلها إلى أداة نفوذ لتزويق النسيج السني من داخله وجذب بعض أطرافه نحو مركزية القرار في طهران تحت غطاء الولاء والمحبة لأهل البيت.

## ثالثاً: بوابة التقريب بين المذاهب

وتعود الجذور التاريخية لهذا الاختراق إلى فترة متقدمة من ثلاثينيات القرن الماضي قبل قيام الثورة الخمينية، وفي فترة التحضير لها، إذ كانت الظروف متشابهة في عدد من البلدان وبخاصة - مصر وإيران - إبان الهيمنة الاستعمارية الغربية التي تلت سقوط الخلافة العثمانية، وبومها برزت رموز إسلامية سنية في مصر ومرجعات شيعية في إيران تتبنى شعارات عامة لدفع الهيمنة الاستعمارية، كالمناذاة بالوحدة الإسلامية والراباطات الإسلامية العامة والحد من الخلافات المذهبية ونحوها. وفي هذه الأجواء ولدت فكرة الدعوة إلى التقارب بين المذاهب واستمرت مثل هذه المدوات التخوية في محيط اللغات العامة والندوات المشتركة والمبادرات الفردية، وكان ذلك بعض الرواد مثل محمود شلونت شيخ الأزهر في وقته وآية الله الكاشاني من الشيعية وبعض قيادات في حركة الإخوان المسلمين وغيرهم، لكن هذه الفكرة بعد قيام الثورة الخمينية تحولت من حوار ديني ومذهبي إلى أداة نفوذ سياسي ومذهبي لدى صنع القرار في طهران، معتمدين لتحقيق هذه العملية الاختراقية على جملة من المراكز، من بينها:

## 1 - مأسسة التقريب بين المذاهب

بعد ان كانت فكرة التقريب بين المذاهب ضمن المبادرات الفردية المحدودة جعلت إيران من الفكرة عملاً مؤسسياً سيداً بقوة ناعمة، عبر تأسيس المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في عام 1990م الذي ينشط في إقامة المؤتمرات واستقطاب الرموز السنية. ورغم أن ظهوره يقتصر على إدارة الحوارات، إلا أنه في واقع الحال يعمل ضمن "الخطة العشرينية الإيرانية 2005 - 2025) التي تهدف لتحويل إيران إلى نواة مركزية للهيمنة في المنطقة ويتم استثمار هذا المجمع لتسييس التشيع وجعل تجربة الثورة الخمينية مصدر إلهام للشعوب العربية عبر ربط التقارب بفكرة (الولي الفقيه) ومجمع التقارب الإيراني عبارة عن مؤسسة موازية لوزارة الخارجية الإيرانية، ولم تكن وظيفته مجرد حوارات حول قضايا الاختلاف بين السنة والشيعية في مسائل الدين والإمامة والصحابة ونحو ذلك من التباينات الفكرية والعقدية، وإنما المقصود بها في الاستراتيجية الإيرانية صناعة نخب سنية صديقة للمشروع الإيراني، يعملون كجدار حماية للدولة الإيرانية داخل مجتمعاتهم السنية ويخففون من حدة الرفض الشعبي للمشروع السياسي الإيراني، تحت لافتة الوحدة الإسلامية والتقارب المذهبي.

## 2 - تحييد العقيدة لصالح السياسة

استطاع الخطاب الشيعي الإيراني - خارجياً - أن يوجد معادلة فكرية ذكية تقوم على اعتبار الخلافات العقدية ثانوية، وترسيخ فكرة التركيز على العدو المشترك وجعله أولوية، وهي فكرة تبدو لأول وهلة منطقية وعقلانية، غير أن الهدف الأساس منها في السياسة الإيرانية خديعة تنويم الحاسة الحذرة والنقدية لدى أهل السنة تجاه المعتدات والتمدد الإيراني لإيجاد قناعات بأن التقارب المذهبي هو الحل، ومفهومه درء أي محاولة لنقد التدخل الإيراني في العراق أو سوريا أو اليمن أو غيرها، وتصنيف ذلك بأنها دعوة للفتنة أو خدمة للأعداء، وبذلك أصبح التقريب المذهبي درعاً دبلوماسياً للمشروع الإيراني التوسعي.

## 3- توظيف طرق التصوف ونقابات الأشراف والمشجرات

يعتمد المشروع الإيراني على التفتيق حول القواسم المشتركة مع كثير من الطرق الصوفية ذات الولاءات العلوية، وهي شرائح متعددة ومتواجدة في كثير من بلدان المسلمين، يتقاطعون مع المشروع الشيعي في تقديس الولاية لأهل البيت - دون ميزان شرعي. وتقوم إيران عبر دبلوماسيتها الرسمية والشعبية بدعم روابط ونقابات الأشراف وبناء منظومة من العلاقات والتشبيكات مع الأسر والعائلات التي تتفاخر بنسبها العلوي من المنتسبين إلى السنة، متأثرين بمدخل التشيع الساعي إلى التحشيد وتوظيفها في صناعة ولايات عابرة للحدود تتجاوز الانتماءات الشرعية والوطنية لصالح الانتماء لمركزية طهران التي توظف مصطلح أهل البيت لأغراضها السياسية والتوسعية.

عن تسويات، بينما كانت القدس بالنسبة لإيران جواز السفر الذي سمح لها بعبور الحدود المذهبية والوصول إلى اختراقات فكرية وسياسية لفتات من أهل السنة.

## ثانياً: بوابة أهل البيت

لا نزاع عند أهل السنة والجماعة في محبة من ثبتت فضائله من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، ويشمل ذلك أزواجه أمهات المؤمنين ومن صحبه من قرابته كعلي الحسن والحسين رضي الله عنهم، وأما من جاء بعدهم من المنتسبين إليهم فهم كسائر الناس يتساونوون يحب صالحهم ويوالي بحسب دينه وصلاحه، ويبغض عاصيهم ويعادي بحسب انحرافه وفساده، وهذا الأصل - عند أهل السنة والجماعة - ذو صلة بميزان العلم، وليس عاطفة غير منضبطة لغرض الاستثمار السياسي أو المالي أو الاجتماعي كما فعلت الشيعة قديماً وحديثاً، فجعلت من ذلك بوابة للتوظيف السياسي والتسلسل الناعم لترميز مشاريعها العقدية وأطماعها السياسية، ومن ذلك:

1 - توظيف المشترك بين أهل السنة والشيعة المتعلق بمظلومية مقتل الحسين - رضي الله عنه - ومن معه من أهل البيت في واقعة كربلاء، واستدعاء هذه الرمزية بوصفها قضية مؤلمة في الوجدان السني، وهي واقعة تاريخية تتعلق بأطرافها ككشأن كثير من الوقائع التاريخية التي تحكى للتعاطف والاعتبار، غير أن هذه الواقعة قد تحولت سرديتها - لدى الشيعة - إلى سرديّة عابرة للأزمان وجعل منها الشيعة نموذجاً للصراع بين الحق والباطل عبر العصور وبنوا على ذلك رؤية تشطيرية للأمة بإسقاطها على الواقع السياسي، فيستدرج الناس عاطفياً إلى التفاعل معها دون الوقوف على ملابساتها وحقائقها الثابتة ومحدداتها الشرعية، فسجبت من سياقتها التاريخية لجعلها منمنها ثوريا وذكرى الأيمة وبطولة دينية فلم تعد - في التصور الشيعي - مجرد رموز تاريخية لها مكانتها وإنما صارت شعارات وسلالات لثورات وحركات سياسية تقودها طهران.

## 2 - تسييس مصطلح أهل البيت

مصطلح (أهل البيت) لا يكتسب ولاءً سياسياً كما هو الشأن لدى عموم فئات الشيعة ومن تأثر بهم من المتصوفة وغيرهم وتحريم هذه المسألة من الناحية الشرعية من الأهمية بمكان بعيداً عن ردود الأفعال أو التوظيفات الخاطئة لها وهناك ملحظ ظاهر يتعلق بضعف التواصل العلمي والتساهل حول تنقيح وتحقيق التراث المنقول حول أهل البيت وجود حشو كثير وضعيف في الآثار الواردة وكثير منها مكذوب على علي رضي الله في بعض كتب الآثار عند أهل السنة، ناهيك عن كتب الشيعة - معدن الكذب ونبهته - كما ذكر ذلك كثير من المحققين كآين تبسيمي وغيره. وقد نذكر البخاري في مناقب علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بعض الأحاديث ثم ختم ذلك بسنده إلى محمد بن سيرين - أحد أئمة الحديث من التابعين - ونقل رأيه أن عامة ما يروى عن علي - رضي الله عنه - من الآثار مكذوب عليه ومن خلال هشاشة عامة الروايات في أهل البيت، مضافاً إلى ذلك التفسيرات الخاطئة للصحيح منها تم توظيف هذه العاطفة الوجدانية، وتسلسل الفكر الشيعي إلى مجاميع تنتسب إلى أهل السنة وتوجيهها لخدمة مشروع إيران السياسي.

وغني عن البيان أن معالجة ذلك علمياً ليس في ردود الأفعال أو المعصبات المقابلة أو نفس مصطلح أهل البيت أو محبة من ثبتت فضائلهم بالنصوص الصريحة بقدر ما هو في ضبط هذا المصطلح بميزانه الشرعي وربطه بمنهج العدل في الإسلام وليس بالشعارات والدعاوى، والباب الذي دخل منه الخلل للاختراق هو الباب الذي يعالج به ضبطه بالعلم المحقق وتفسيراته الصحيحة وغربة الغثائية في الآثار الواردة.

## 3- توظيف طرق التصوف ونقابات الأشراف والمشجرات

يعتمد المشروع الإيراني على التفتيق حول القواسم المشتركة مع كثير من الطرق الصوفية ذات الولاءات العلوية، وهي شرائح متعددة ومتواجدة في كثير من بلدان المسلمين، يتقاطعون مع المشروع الشيعي في تقديس الولاية لأهل البيت - دون ميزان شرعي. وتقوم إيران عبر دبلوماسيتها الرسمية والشعبية بدعم روابط ونقابات الأشراف وبناء منظومة من العلاقات والتشبيكات مع الأسر والعائلات التي تتفاخر بنسبها العلوي من المنتسبين إلى السنة، متأثرين بمدخل التشيع الساعي إلى التحشيد وتوظيفها في صناعة ولايات عابرة للحدود تتجاوز الانتماءات الشرعية والوطنية لصالح الانتماء لمركزية طهران التي توظف مصطلح أهل البيت لأغراضها السياسية والتوسعية.

## 4 - احتكار رمزية أهل البيت

بالرغم من التوزيع الجغرافي والمذهبي المنتسبي وحاملي المشجرات العلوية في أصقاع الأرض، إلا أن الآلة الثقافية والسياسية الإيرانية تزعمت احتكار رمزية (أهل البيت) وقدمت نفسها وصية حصرية لموروث أهل البيت - المزعوم - مستغلة مفردات من الموروث السني التقليدي حول بعض القضايا الفقهية، إضافة إلى الجوانب الرمزية والروحية المرتبطة بأهل البيت لدى فئات متعددة - وبخاصة الطرق الصوفية - وغيرهم، الأمر الذي مكن لطهران من طرح نموذجها السياسي وكأنه التجسيد الوحيد للعدل العلوي مما أدى إلى ظهور حالة من التشيع الثقافي والسياسي لدى نخب سنية لا تعتنق بالضرورة المذهب الإمامي الجعفري، ولكنها تتبنى الرؤية السياسية الإيرانية بدافع الوفاء الرمزي لمصطلح أهل البيت، وبهذه الاستراتيجية الذكية تغلغل

من الأهمية بمكان، وفي ضوء الأحداث الجارية وعدوان إيران على جيرانها، أن نتوقف عند بوابات الاختراق الشيعي الإيراني لمجتمعات المسلمين: - أهل السنة - كجزء من استراتيجية تصدير الثورة الخمينية العابرة للحدود، ويمكن الإشارة هنا إلى أهم هذه البوابات ومنها:

## أولاً: بوابة القضية الفلسطينية

نظراً لمركزية القضية الفلسطينية لدى عموم العرب والمسلمين، فقد عملت الاستراتيجية الإيرانية بعد قيام الثورة الخمينية عام 1979م على السعي لاختطاف هذه القضية من محيطها العربي السني، وأدركت طهران - مبركراً - أنها البوابة الأوسع لاختراق الوجدان العربي والإسلامي، فرفعت شعارات تحرير القدس وإعلان العداء لأمريكا وإسرائيل، متجاوزة حواجز المذهبية سمحت لإيران أكفائية شيعية والأزرية لكسب تعاطف التيارات القومية واليسارية والإسلامية، واستخدمت قضية فلسطين قنطرة للتمدد خارج حدودها وجعلها ورقة سياسية بيدها وبوابة للنفوذ السياسي، وفقاً لمحطات متعددة ومنها:

## 1 - يوم القدس العالمي:

في أغسطس عام 1979 م رمضان 1399 هـ أعلن الخميني عن تخصيص الجمعة الأخيرة من رمضان يوماً عالمياً للقدس لجعلها رمزية مشتركة بين المسلمين عموماً - سنة وشيعة - وهي شعبة ذكية واستراتيجية سمحت لإيران أكفائية شيعية بتسويق نفسها كقائدة لتحرير القدس وفلسطين مع ربط ذلك بمركزية القرار في طهران ومن حينها توجهت الانتظار إلى طهران لدى المخدوعين بثورة الخميني وأصبح يوم القدس واجباً مقدساً وأداة سنوية للتعينة العامة ضد مصطلح الاستكبار العالمي - امريكا واسرائيل - وللضغط على الأنظمة العربية الحاكمة المهتمة بالتطبيع أو التناقص عن نصرمة القضية الفلسطينية .

## 2 - فيلق القدس:

وعلى ذات المسار قام الحرس الثوري الإيراني بتأسيس وحدات عسكرية تحت مسمى ( فيلق القدس) لصيغ ذلك بصيغة دينية ترمز إلى تحرير القدس من جهة ولنخ هذه الوحدات التدخل خارجياً تحت مبررات تحرير القدس من جهة أخرى وأدار الفيلق - بقيادة قاسم سليمانى ثم خلفائه - شبكة تدريب وتأهيل لحركتي حماس والجهاد الإسلامي لاختراق العمق في قلب العالم السني وتقديم إيران كمنصرة المستضعفين عوضاً عن الأنظمة العربية السنية المفككة وقد نجحت هذه الاستراتيجية جزئياً لتوسيع محور المقاومة ( إيران-سوريا-حزب الله-حماس- الحوثيين) ويصبح نموذجاً جذاباً لدى مجاميع من التوجهات الإسلامية الغيبية عن خداع الثورة الشيعية الخمينية.

## 3 - محور المقاومة:

رسخت إيران في خطاهها التعويبي - مستغلة غياب القيادة العربية - ما يسمى بمحور المقاومة وهو ما أوجد لها توسعاً وتمتداً شعبوياً لدى قطاع واسع في الشارع العربي والإسلامي المحيط من مواقف قياداته السياسية واستطاعت إيران أن توجد لها هالة اعلامية دعائية كدولة عظمى مقاومة! في مواجهة إسرائيل مما دفع كثيراً من الشباب السني إلى الإعجاب والافتتان بالنموذج التنظيمي الإيراني، ومن خلال ما يسمى بمحور المقاومة. وتجاوزت إيران الحواجز المذهبية والوقومية وتبنت خطاباً ثورياً عاطفياً مكنها من التسلسل إلى أدبيات عدد من التيارات القومية واليسارية والإسلامية.

في ضوء ما أطلق عليه محور المقاومة، أدركت إيران أن نفوذها سوف يظل محصوراً كونها أقلية شيعية لها معتقداتها المارقة لعقيدة السواد الأعظم من المسلمين، فعمدت إلى كسر هذه العزلة بالبحث عن موطئ قدم داخل العمق السني فعمدت دعماً وإسناداً مالياً وعسكرياً - رغم غزوة لحركتي حماس والجهاد الإسلامي - رغم التباينات العقدية والفكرية - معتبرة نفسها هظيرة للمقاومات السنية فقامت بإمدادها مستغلة حالة الضعف العربي المائل إلى التهدئة والعمل على خطوات تطبيعية مع المشروع الصهيوني، وتجاوزت إيران هويتها الشيعية في الخطاب الإعلامي الخارجي، وتبنت خطاباً ناعماً وثورياً كخطاب نصرمة المستضعفين والوحدة الإسلامية والشيطان الأكبر - أمريكا - ونحو ذلك من الخطابات المنمقة.

وعلى ضوء ذلك، فرضت طهران رؤيتها مفهوم محور المقاومة باعتبارها قائدة له، وقد أدخل هذا التوظيف حركات المقاومة الإسلامية السنية في أزمتين أساسيتين إحداهما مع عمقها العربي السني، وثانيتها مع الجبهة الداخلية المخوفة من مآلات تماهي قيادات في المقاومة مع المشروع الإيراني تصاهي سعي إيران الحثيث إلى تحويل القضية الفلسطينية من قضية تحرر وطني إلى أداة نفوذ مذهبي وورقة سياسية تستثمرها لبناء محورها المتمد من بيروت إلى صنعاء، ولتعزيز شرعية نظامها بين الشعوب العربية والإسلامية.

## 4 - المظلومية المشتركة:

ربطت إيران بين مظلومية (أهل البيت) تاريخياً ومظلومية (الشعب الفلسطيني) وإقبعيا لجعل هذا الربط الوجداني جسراً عاطفياً يعبر فوق الخلافات المذهبية، ليصبح محور المقاومة هو التجسيد الحديث لنصرة المظلوم ضد الظلم، وهو طرح أخلاقي في ظاهره مراوغ في باطنه يصعب رفضه منطقياً من قبل الجماهير، غير أن محصلة ذلك أن إيران لم تخترق أهل السنة يكتب الموروث الجعفري وإنما بسياسة سد الفراغات واستثمارها في القضايا المقدسة لدى عامة أهل السنة، في وقت يعيش فيه النظام العربي الإقليمي حالة من الاسترخاء والانتكفاء أو البحث